



مقدمة

عزيزي القارئ،

أكتب هذا الكتاب الصغير لأن حق «يسوع المسيح»، ابن الله، وجماله يسلبان العقل. يمكنني القول مع مرنم المزمور القديم:

«وَاحِدَةً سَأَلْتُ مِنَ الرَّبِّ وَإِيَّاهَا أَلْتَمِسُ:
أَنْ أَسْكُنَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي،
لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى جَمَالِ الرَّبِّ، وَأَتَقَرَّسَ فِي هَيْكَلِهِ»
(مزمور ٢٧: ٤)

التلذذ المُشبع بالله

إذا كنت مرشدًا في رحلة سياحية، وتعرف أن من معك يتوقون للاستمتاع بالجمال - لدرجة الاستعداد للمخاطرة بحياتهم لمشاهدته - ووصلت إلى وادٍ خلّاب، فعليك أن تريه لهم وتحثهم على الاستمتاع به. في الواقع، يتوق الجنس البشري إلى تجربة الروعة والعجب. ولا توجد حقيقة أكثر روعة وعجبًا من «يسوع المسيح». إنه ليس آمنًا، لكنه مذهل.

لقد وضع الله الأبدية في عقل
الإنسان وملاً القلب البشري
بالشوق. ولكننا لا نعلم ما الذي
نتوق إليه حتى نرى الله الذي
يخطف الأنفاس. هذا هو سبب
الشعور بالجزع والارتباك المنتشر
في كل العالم. من هنا جاءت

لا توجد
حقيقة
أكثر روعة وعجبًا
من "يسوع
المسيح"

————— ❁ —————

مقدمة

صلاة القديس «أغسطينوس» الشهيرة: «لقد خلقتنا لذاتك ولن تجد قلوبنا أي سلام حتى تجد راحتها فيك»¹.

يعاني العالم من شوق أو حنين شديد للغاية ويحاول أن يشبعه بإجازات جميلة، أو إنجازات إبداعية، أو أعمال سينمائية مذهشة، أو مآثر جنسية، أو بطولات رياضية، أو مخدرات للهلوسة، أو صرامة متناهية، أو تفوق ما مهني... إلخ. لكن يبقى الشعور بالحنين. ما معنى هذا؟ يجيب «سي. إس. لويس» قائلاً:

«إذا وجدت في نفسي رغبة لا يمكن لأي تجربة في هذا العالم إشباعها، فالتفسير الأرجح هو أنني خلقت لعالم آخر»².

¹ Augustine, Confessions, trans. R. S. Pine-Coffin (New York: Penguin Books, 1961), 21 (I, 1).

² C. S. Lewis, A Mind Awake: An Anthology of C. S. Lewis, ed. Clyde Kilby (New York: Harcourt Brace and World, 1968), 22

التلذذ المُشبع بالله

إن مأساة هذا العالم هي أن صدى الصوت يؤخذ خطأ على أنه الصرخة الأصلية.

عندما ندير ظهرنا إلى جمال الله الذي يؤثر الأبواب، نلقي بظلالنا على الأرض ونقع في حبها. لكنه لا يُشبع.

«الكتب أو الألحان الموسيقية التي ظننا أن الجمال يسكنها سوف تخوننا إذا وضعنا ثقتنا فيها... لأنها ليست الشيء نفسه، بل مجرد رائحة وردة لم نجدها، أو صدى لنغمة لم نسمعها، أو أخبار عن بلد لم نزره بعد».³

لقد كتبتُ هذا الكتاب لأن الجمال الإلهي المُبهر قد افتقدنا. «وَالكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الْآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا» (يوحنا ١: ١٤). كيف لا اصرخ قائلاً: انظر! آمن! كن راضيًا! رؤيته قد تكلفك حياتك. لكنك ستجد أن الأمر

³ Ibid., 22–3.

مقدمة

يستحق العناء، لأننا نعلم من مصدر لا يرقى إليه الشك أن «رَحْمَةُ الرَّبِّ أَفْضَلُ مِنَ الْحَيَاةِ» (مزمور ٦٣: ٣). اللذة (الفرح) اللانهاية هي مهمة خطيرة. لكنك لن تندم على ملاحقتها. أدعوها «مذهب المتعة المسيحية».

الفصل الأول



اعتبار اللذة تكليفاً واجباً أمر مثير للجدل

مذهب «المتعة المسيحية» اسم مثير للجدل لأسلوب حياة قديم الطراز.

يعود تاريخه إلى «موسى»، الذي كتب أسفار الكتاب المقدّس الأولى وهدد بوقوع أشياء مرعبة إذا لم نشعر بالفرح: «مَنْ أَجَلِ أَنْكَ لَمْ تَعْبُدِ الرَّبَّ إِلَهَكَ بِفَرَحٍ وَبِطِيبَةِ قَلْبٍ... تُسْتَعْبَدُ لِأَعْدَائِكَ» (تنثية ٢٨: ٤٧ - ٤٨).

التلذذ المُشبع بالله

...وإلى «داود»، ملك «إسرائيل»، الذي قال عن الله: «بَهْجَةً فَرِحِي» (مزمور ٤٣: ٤)، كما قال: «أَعْبُدُوا الرَّبَّ بِفَرَحٍ» (مزمور ١٠٠: ٢) و«تَلَذَّذُوا بِالرَّبِّ فَيُعْطِيكَ سُؤْلَ قَلْبِكَ» (مزمور ٣٧: ٤)، وكما صلّى أيضاً موسى قائلاً: «أَشْبِعْنَا بِالْغَدَاةِ مِنْ رَحْمَتِكَ، فَتَبْتَهِجَ وَنَفْرَحَ كُلُّ أَيْمَانِنَا» (مزمور ٩٠: ١٤)، والذي وعد أن الفرح الكامل والدائم لا يوجد إلا في الله وحده: «أَمَامَكَ شَبِعَ سُورُورٍ. فِي يَمِينِكَ نَعْمٌ إِلَى الْأَبَدِ» (مزمور ١١٦: ١١).

...وإلى «الرب يسوع»، الذي قال: «طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ... اِفْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، لِأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ» (متى ٥: ١١-١٢)، والذي قال:

مذهب «المتعة
المسيحية»
اسم مثير للجدل
لأسلوب حياة
قديم الطراز.



اعتبار اللذة تكليفاً واجباً أمر مثير للجدل

«كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا لِكَيْ يَثْبُتَ فَرَحِي فِيكُمْ وَيُكْمَلَ فَرَحُكُمْ»
(يوحنا ١٥: ١١)، والذي احتمل الصليب «مِنْ أَجْلِ
السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ»

(العبرانيين ١٢: ٢)، والذي وعد أن في النهاية سيسمع
العبيد الأمناء هذه الكلمات «أَدْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ»
(متى ٢٥: ٢١).

...وإلى «يعقوب» أخي الرب، الذي قال: «إِحْسِبُوهُ
كُلَّ فَرَحٍ... حِينَمَا تَقْعُونَ فِي تَجَارِبِ مُتَنَوِّعَةٍ» (يعقوب
٢: ١).

...وإلى الرسول «بولس»، الذي نادى قائلاً «كَحَزَانِي
وَنَحْنُ دَائِمًا فَرِحُونَ» (٢ كورنثوس ٦: ١٠)، والذي
وصف خدمة فريقه «بَلَّ نَحْنُ مُوَازِرُونَ لِسُرُورِكُمْ»
(٢ كورنثوس ١: ٢٤)، والذي أوصى المؤمنين وقال
«افْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ» (فيلبي ٤: ٤)، و«تَفْتَخِرْ
أَيْضًا فِي الصِّيقَاتِ» (رومية ٥: ٣).

التلذذ المُشبع بالله

...وإلى الرسول «بطرس»، الذي قال: «بَلِّغْ كَمَا اشْتَرَكْتُمْ فِي آيَةِ الْمَسِيحِ، افرحُوا لِكَيْ تَفْرَحُوا فِي اسْتِعْلَانِ مَجْدِهِ أَيْضًا مُبْتَهَجِينَ» (١ بطرس ٤: ١٣).

...وإلى القديس «أغسطينوس»، الذي تحرر في سنة ٣٨٦ من الانغماس في الشهوات والفسق واختبر أفراح الله السامية. «ما أروع أن أتخلص فجأة من تلك الملذات العقيمة التي كنت في الماضي أخشى فقدانها!... أبعدها عني، أنت الفرح الحقيقي المهيمن. أبعدها عني وأخذت مكانها، يا أحلى من كل بهجة».^١

... وإلى «بليز باسكال»، الذي رأى أن «كل الناس، بدون استثناء، يبحثون عن السعادة. مهما اختلفت الوسائل التي يستخدمونها، فإنهم يميلون جميعًا إلى تحقيق هذا الهدف... لا تتخذ الإرادة أقل خطوة

^١ Augustine, Confessions, 181 (IX, 1).

اعتبار اللذة تكليفًا واجبًا أمر مثير للجدل

إلا نحو هذا الغرض. هذا هو الدافع وراء كل عمل يقوم به كل إنسان، حتى أولئك الذين يشنقون أنفسهم».²

...وإلى معتنقي المذهب البيوريتاني (التطهيريين) المتشددين الذين كان هدفهم هو معرفة الله معرفة جيدة لدرجة أن «حياتنا تؤدي إلى الفرح به»³ لأنهم أدركوا أن هذا الفرح من شأنه أن «يسلحنا ضد هجمات أعدائنا الروحيين ويسد شهيتنا عن تلك الملذات التي يضعها المُجرب في أشراكه».⁴

...وإلى «جوناثان إدواردز»، الذي اكتشف وعلم بقوة كأبي شخص آخر أن «سعادة المخلوق تكمن في الفرح

² Blaise Pascal, *Pascal's Pensées*, trans. W. F. Trotter (New York: E. P. Dutton, 1958), 113 (thought #425).

³ Richard Baxter, *The Saints' Everlasting Rest* (Grand Rapids, Mich.: Baker Book House, 1978), 17.

⁴ Matthew Henry, *Commentary on the Whole Bible*, vol. 2 (Old Tappan, N.J.: Fleming H. Revel, n.d., original 1708), 1096.

التلذذ المُشبع بالله

بالله، وبها أيضاً يتعظم الله ويتمجد».° «إن الغرض من الخليقة هو أن الخليقة تمجد (الله). والآن ما معنى تمجيد الله إلا الفرح بذلك المجد الذي أعلنه؟»^٦

...وإلى «سي. إس. لويس»، الذي اكتشف أنه «إننا يسهل إرضائنا بسهولة شديدة جداً».^٧

...وإلى آلاف المرسلين، الذين تركوا كل شيء لأجل المسيح وقالوا في النهاية، مع «ديفيد ليفنجستون»: «لم أقدم أي تضحية قط».^٨

⁵ Jonathan Edwards, The End for Which God Created the World, in John Piper, God's Passion for His Glory (Wheaton, Ill.: Crossway Books, 1998), 158, paragraph 72.

⁶ Jonathan Edwards, The «Miscellanies» (Entry Nos. a-z, aa-zz, 1-500), ed. Thomas Schafer, The Works of Jonathan Edwards, vol. 13 (New Haven, Conn.: Yale University Press, 1994), 199 (Miscellany #3).

⁷ C. S. Lewis, The Weight of Glory and Other Addresses (Grand Rapids, Mich.: Eerdmans, 1965), 1-2.

⁸ Cited in Samuel Zwemer, «The Glory of the Impossible,» in Perspectives on the World Christian Movement, 3rd edition, eds. Ralph Winter and Steven Hawthorne (Pasadena, Calif.: William Carey Library, 1999), 315.

اعتبار اللذة تكليفيًا واجبًا أمر مثير للجدل

مذهب «المتعة المسيحية» ليس جديدًا.

لذا إذا كان مذهب «المتعة المسيحية» قديمًا، فلماذا يثير الجدل؟ أحد الأسباب هو إنه يصر على أن الفرح ليس نتيجة عرضية لإطاعة الله، بل جزء منها. يبدو كما لو أن الناس يرغبون في جعل الفرح نتيجة ثانوية لعلاقتنا مع الله، وليس جزءًا أساسيًا منها. ولا يشعرون بالارتياح حين يقولون إننا ملزمون بالسعي وراء الفرح.

يقولون أشياءً مثل: «لا تسعى وراء الفرح، بل التزم الطاعة». لكن مذهب «المتعة المسيحية» يرد: «هذا مثل القول 'لا تأكل تفاحًا، بل كُلْ فاكهة'». لأن الفرح هو فعل الطاعة. لدينا وصية بالفرح في الله. إذا كانت الطاعة هي تنفيذ وصايا الله، فلن يكون الفرح مجرد نتيجة عرضية لها بل هو الطاعة ذاتها. يوصينا الكتاب المقدس أكثر من مرة بالبحث عن الفرح: «افْرَحُوا

التلذذ المُشبع بالله

بِالرَّبِّ وَابْتَهَجُوا يَا أَيُّهَا الصِّدِّيقُونَ، وَاهْتَفُوا يَا جَمِيعَ
الْمُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ» (مزمور ٣٢: ١١). «تَفْرَحُ وَتَبْتَهِجُ
الْأُمَّمُ (مزمور ٦٧: ٤). «وَتَلَذُّ بِالرَّبِّ» (مزمور ٣٧: ٤).
«افْرَحُوا بِأَنَّ أَسْمَاءَكُمْ قَدْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاوَاتِ» (لوقا
١٠: ٢٠). «افْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ، وَأَقُولُ أَيْضًا:
افْرَحُوا» (فيلبي ٤: ٤).

لا يعلمنا الكتاب المقدس أننا يجب أن نتعامل
مع الفرح كنتيجة ثانوية لأمر أو فريضة ما. كان «سي.
إس. لويس» محققًا عندما كتب إلى صديق له يقول:
«إنه واجب مسيحي، كما تعرف، أن يشعر كل شخص
بالفرح قدر استطاعته».^٩ أجل، هذا أمر خطير ومثير
للجدل والخلاف. لكن صحيح تمامًا. إن السعادة القصوى،
كمًا وكيفًا، هي بالتحديد ما نحن ملزمون بالسعي وراءها.

⁹ From a letter to Sheldon Vanauken in Vanauken's A Severe Mercy (New York: Harper and Row, 1977), 189.

اعتبار اللذة تكليفاً واجباً أمر مثير للجدل

وصف أحد المؤمنين الحكماء العلاقة بين الفرح والواجب هكذا:

«لنفترض أن زوجاً سأل زوجته إذا ما كان يجب عليه تقبيلها قبل النوم. سترد قائلة: «يجب عليك، لكن ليس هذا النوع من الواجب». ما تعنيه هو: «ما لم تدفك مشاعر عفوية نحوي، فإن مبادراتك تفقد كل قيمة أدبية لها».¹⁰

بمعنى آخر، إذا لم يكن هناك أي لذة في القبلة، فلن يتم واجب التقبيل. الفرح بشخصها، المُعبّر عنه في القبلة، هو جزء من الواجب، وليس نتيجة ثانوية له.

¹⁰ E. J. Carnell, *Christian Commitment* (New York: Macmillan, 1967), 160–1.

التلذذ المُشبع بالله

لكن إذا صح هذا - إذا كانت اللذة في عمل الخير هي جزء من عمل الخير - فسيكون السعي وراء الفرحة هو جزء من السعي وراء الفضيلة. يمكنك أن ترى لماذا بدأ الأمر يثير الجدل. هذه هي خطورة الأمر كله. قد يقول أحدهم: «أتعني هذا حقًا؟ تقصد فعلاً أن المتعة المسيحية ليست مجرد كلمة خادعة لإثارة انتباهنا. إنها في الواقع تقول شيئاً حقيقياً، حقيقياً بصورة مذهلة، عن الطريقة التي يجب أن نعيش بها. إن السعي نحو المتعة هو بحق جزء ضروري من أن تكون شخصاً جيداً». هذا صحيح. أعني ذلك. والكتاب المقدس يقصده. والله يقصده. هذا أمر غاية في الخطورة. نحن لا نلعب بالألفاظ.

اعتبار اللذة تكليفيًا واجبًا أمر مثير للجدل

ليكن الأمر واضحًا: نتكلم دائمًا
عن الفرح في الله. حتى الفرح
في عمل الخير هو في النهاية
فرح في الله، لأن ذروة الخير
التي نسعى إليها دائمًا هي إعلان
مجد الله ونشر فرحنا في الله
إلى الآخرين. أي فرح آخر

إن السعادة
القصوى،
كما وكيف،
هي بالتحديد
ما نحن ملزمون
بالسعي
وراءها



سيكون غير كاف نوعيًا لشوق نفوسنا وكما حاجتنا
الأبدية. في الله وحده نجد ملء الفرح وفرحًا إلى الأبد.

«أَمَامَكَ شِبَعٌ سُرُورٍ. فِي يَمِينِكَ نِعَمٌ إِلَى الْأَبَدِ»
(مزمور ١١٦: ١١).

